

ابن قزمان وتراثه الزجلّي

بقلم الأستاذ : حمودة لعباب

توطئة :

كتب ابن خلدون (732 - 808 / 1332 - 1406) قبل استرداد الإسبان لغرناطة سنة (1492/897) بحوالي مائة سنة متحدّثاً عن انتشار الزّجل بالأندلس : « ولما شاع فنّ التّوشيح في أهل الأنّدلس (...) نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله ونظموا في طريقته بلغتهم الحضريّة من غير أن يلتزموا فيه إعراباً ، واستحدثوا فنّاً سمّوه بالزّجل. » (1). ويضيف أنّ الزّجل كان شائعاً بالأنّدلس ويستشهد بكلام ابن سعيد المغربي (610 - 685 / 1214 - 1286) الذي لاحظ عند زيارته للشرق أنّ شهرة أزجال ابن قزمان قد تجاوزت حدود الأنّدلس والمغرب إلى المشرق العربي : « قال ابن سعيد : ورأيت أزجاله مروية في بغداد أكثر مما رأيت بحواضر المغرب. » (2).

ويشير كلام ابن خلدون عدّة قضايا جوهريّة تتعلّق برواج أزجال ابن قزمان بالمغرب والمشرق وطبيعة لغتها وشهرة صاحبها. وسنتعرّض إلى هذه المسائل لعلاقتها المباشرة بموضوع هذا المقال الّذي سنتناول فيه :

1 - الأسباب المحتملة لعزوف الباحثين العرب اليوم عن دراسة الزّجل الأنّدلسي، والعلل الكامنة وراء انتشار أزجال ابن قزمان في الآفاق في عهده وتجاوزها حدود الأنّدلس إلى بغداد ومصر والشام واندثارها في الوقت الرّاهن بالمقارنة مع الموشحات الأنّدلسيّة.

2 - إبراز قيمة ابن قزمان وأزجاله من خلال آراء النّقّاد القدامى والمحدثين فيه.

3 - عرض نقديّ لمختلف نشرات المستشرقين لديوانه، وحصر أهمّ مسائل الخلاف بين الباحثين حول أزجال ابن قزمان، وتقييم حصيلة ما أنجز حولها سعياً للتّقدّم بالبحث العلميّ في هذا الموضوع.

4 - أهمّ دواعي الحاجة إلى بحث علميّ عربيّ حول ابن قزمان وديوانه ومبررات الدّعوة إلى تعريبه.

5 - اقتراح طريقة عمليّة كفيلة بإنجاز نشرة عربيّة للديوان باعتباره « أنفس أثر زجلّي » (3) ودراسة تراث شاعر يعدّه أحد المستشرقين « قطباً من أقطاب الأدب العربيّ. » (4).

(1) أسباب عزوف الباحثين العرب اليوم عن دراسة تراث ابن قزمان الزّجلّي :

مما يلفت نظر الدّارس للشعر الشعبيّ العربيّ ندرة الدّراسات العربيّة حول الزّجل الأنّدلسي وتراث أهمّ أعلامه، على الرّغم من أنّ الزّجل فنّ قائم بذاته ومستقلّ عن الموشحات وعن

(1) ابن خلدون : « تاريخ العلامة ابن خلدون »، المجلّد الأوّل القسم الأوّل، دار الكتاب اللّبناني، بيروت 1956، ص 1114 - 1115.

(2) نفس المرجع، نفس الصّفحة.

(3) سامي أحمد الموصليّ : دراسات أنّدلسيّة. ط 1، بغداد 1970، ص 4.

(4) انظر مقال « الأنّدلس »، (فصل الحياة العلميّة والأدبيّة بالأنّدلس) بدائرة معارف الشّعب ومطابع الشّعب 1959، ج

2، ص 204 (عبد العزيز سالم).

القصيد، ويعادل التوشيع في أهميته التاريخية (5)، ويتضمن جميع الأغراض كالمدح والفخر والغزل والخمريات والتأملات في الحياة والموت والحب وحتى الكدية. وفي الأزجال تعبير عن روح الكدية يضارع في طرافته ما في مقامات الهمذاني والحري.

وأسباب عزوف الباحثين العرب عن دراسة الزجل كثيرة نذكر من بينها :

أ - ظن بعضهم عن خطأ أن الزجل شعر شعبي بالمفهوم التقليدي لكلمة « شعبي »، وما يحف بها من إسفاف وابتذال من حيث اللغة والمواضيع. ولا أدل على هذا الفهم الخاطئ من أن ابن قزمان « كان في أول شأنه مشتغلا بالنظم المعرب فرأى نفسه تقصر عن أفراد عصره كابن خفاجة وغيره، فعمد إلى طريقة لا يمازجه فيها أحد فصار إمام أهل الزجل المنظوم بكلام عامة أهل الأندلس. » (6).

ب - وجوب معرفة اللغة الإسبانية لكل من يروم دراسة الزجل الأندلسي :

- لا حتوائه على كلمات وتعابير إسبانية ونذكر على سبيل المثال قول ابن قزمان في

زجل له :

إنما أن تتوب أنا فمحــــــــــــــــال

ويقائي بلا شربة ضــــــــــــــــلال

بين بين ودعني ثــــــــــــــــما يقــــــــــــــــال

إن ترك الخلعة عندي جنــــــــــــــــون

(الزجل رقم 90، النشرة 5، البيت 1، ص 598)

و« بين بين » تعني « الخمرة الخمرة » بالإسبانية (vino, vino)

- ولأن « الخرجة » - وهي من أبرز أركان الزجل - كثيرا ما تكون بالرومانشية (الإسبانية القديمة). والخرجة، كما هو واضح من التسمية، وسيلة للخروج من الكلام المعرب إلى العامي أو الرومانشي أو من غرض الغزل إلى المديح أو العكس، وقد تكون التسمية اصطلاحا موسيقيا. (7).

- ولمعرفة ما كتب عن الزجل باللغة الإسبانية ولتقييم ما جاء في دراسات المستشرقين الذين أشبعوا هذا الموضوع بحثا واجتهادا.

- وللإطلاع على قصائد بعض الشعراء الإسبان الذين تأثروا بالزجل ونسجوا على منواله. ونذكر على سبيل المثال الشاعر الإسباني جون رويث (Juan Ruiz) الذي كان يعرف اللهجة العامية الأندلسية وصرح أنه نظم بها بعض الأزجال في شكل أغان للراقصات المسلمات واليهوديات. ويحتوي ديوانه على بعض هذه الأزجال. (8).

ج - ضرورة معرفة عروض الزجل وهو عروض فريد يقترب تارة من العروض الخليلي (موقف المستشرق الإسباني كورينطي) وطورا من عروض الشعر الإسباني (موقف المستشرق الإسباني غوث) (9).

(5) المرصلي: دراسات أندلسية. سبق ذكره، ص 4.

(6) انظر مقال : « الأندلس »، سبق ذكره، ص 204.

(7) عبد العزيز الأهراني: الزجل بالأندلس، القاهرة 1957، ص 44.

(8) Henri Terrasse : Islam d'Espagne. Plon, Paris 1958, p. 185

(9) انظر مقدمة كورينطي لديوان ابن قزمان، في النشرة التي أعدها للديوان، ص « ب ».

د - اللبس الذي حصل في أذهان بعضهم بين ثلاثة أنواع من الزجل :

نوع أول : وهو شعبي خالص يوافق أذواق العامة، ويستعمل فيه الزجالون اللغة الدارجة الأندلسية والرومانشية (الإسبانية القديمة). وقد وجد هذا النوع بالأندلس إلا أنه قد اندثر.

نوع ثان : وهو مصقول لكنه متكلف يرغب عنه العامة لأنه يخالف ميلهم الطبيعي إلى البساطة، وما يجري على ألسنتهم من أحاديث عفوية في حياتهم اليومية.

نوع ثالث : جمع بين مزايا النوع الأول والثاني، وعرف كيف يحتفظ بأحسن خاصتهما (10). وأبرز من برع فيه هو أبو بكر بن قزمان الأصغر (460 - 554 / 1076 - 1160). وقد أجمع النقاد القدامى منهم والمحدثون على نبوغه في ميدان الزجل إذ بلغ على يده أوجه الفنى.

2 - آراء النقاد القدامى والمحدثين في ابن قزمان :

2 - 1 آراء النقاد القدامى :

يعتبر ابن خلدون ابن قزمان إمام الزجالين دون منازع، إذ ملك ناصية هذا الفن وأبدع طريقة في صياغة الأزجال امتاز بها عن غيره، وهو يقول عن ابن قزمان في معرض حديثه عن الزجل : « وأول من أبدع هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قزمان (...) وهو إمام الزجالين على الإطلاق. » (11).

ويدعم لسان الدين بن الخطيب رأي ابن خلدون وينسج على منواله في إطراء مواهب ابن قزمان بالإلحاح على صفتي « الإبداع » واستقلال طريقته في صياغة الأزجال ويبلغ به الإعجاب أعلى المراتب فيقول :

« إن هذه الطريقة الزجلية بديعة ... وبلغ فيها أبو بكر بن قزمان مبلغا عظيما. فهو آيتها المعجزة وحجتها البالغة وفارسها المعلم والمبتدئ فيها والمتمم ... » (12).

2 - 2 آراء النقاد المحدثين :

اخترنا موقف باحثين معاصرين أحدهما عربي والثاني إسباني، وما يجمع بينهما هو التنويه والإعجاب بالأزجال القزمانية :

- أمّا الأول فهو إحسان عباس الذي يرى أن أزجال بن قزمان حلقة من حلقات تطور الزجل، وأن هذا الأخير قد بلغ به درجة الكمال فهو يقول : « إن الزجل، على يد ابن قزمان، اكتمل صورة وموضوعا. » (13).

- وأمّا الناقد الثاني فهو إميليو غارثيا غومث (Emilio Garcia Gomez) صاحب رابع نشرة علمية لديوان ابن قزمان فيرى « أن الزجل قد نشأ نشأة حقيقية مع ابن قزمان وهو أعلى قمة من قمم الشعر في القرون الوسطى. » (14).

(10) الموصلي : دراسات أندلسية سبق ذكره. ص 39.

(11) ابن خلدون : « تاريخ العلامة ابن خلدون »، سبق ذكره، ص 1115.

(12) عن عبد العزيز سالم، مقال : « الأندلس »، سبق ذكره، ص 204. (لم يذكر اسم المصدر).

(13) إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي. (عصر الطوائف والمرابطين)، بيروت - ط 6 - 1981 - ص 80.

(14) انظر مقال : « الأدب العربي بإسبانيا » بدائرة المعارف الإسلامية (الفرنسية)، الطبعة الجديدة، ج 3، ص 618.

وما تشبیه ابن قزمان فی مجال الشعر الشعبي بالمتنبی (15) وبأبی نواس (16) فی میدان الشعر التقليدي، إلا حجة أخرى على جودة أزجاله.

3 - عرض نقدي لمختلف نشرات المستشرقين لديوان ابن قزمان.
لابن قزمان ديوانان لم يصلنا منهما إلا واحد وهو «إصابة الأغراض في إصابة الأعراض» جمعه لممدوحه الوشكي (أمين سوق قرطبة). ويعتبر هذا الديوان «أنفس أثر زجلي أندلسي» (17)، وقد نسخ الديوان أول مرة بمدينة صند بفلسطين في منتصف القرن السادس الهجري. والنسخة الوحيدة الأصلية من الديوان موجودة في معهد الدراسات الشرقية للمجمع العلمي السوفياتي (18).

3 - 1 مختلف نشرات ديوان ابن قزمان :
أنجز المستشرقون خمس نشرات لهذا الديوان وهي :
- النشرة العلمية الأولى : أنجزها المستشرق جنزبرج (Gunzberg) ، ونشرها ببرلين عام 1896 واعتمد فيها على النسخة الوحيدة للديوان المذكورة أنفا (19).
- النشرة العلمية الثانية : قام بها المستشرق التشيكي نيكل (NYKL) :
A. R. Nykl : El Cancionero de Aben Guzman, Madrid, 1933
وقد احتوى الديوان في هذه النشرة على 149 زجلا (465 ص)، وتمثل عمل نيكل في تحقيقها ونشرها وترجمتها ترجمة جزئية وكتابتها كلها في حروف لاتينية حتى يسمح للمتخصصين في الدراسات الرومانية بملاحظة البناء العروضي لهذه الأزجال وقوافيها (20).
ولئن كان هذا العمل هاما فإنه ينبغي لنا أن نشير إلى «أن هذه النشرة مليئة بالأخطاء» (21)، وإلى «ضرورة توخي الحذر الشديد عند استخدام هذه النشرة.» (22).
3 - النشرة العلمية الثالثة : أعدها المستشرق الفرنسي كولان (COLIN) وكانت الغاية من نشره للديوان مرة ثانية هي «تجنب الأخطاء التي وقع فيها نيكل» (23).

(هيئة التحرير).

(15) «كان أهل الأندلس يقولون : ابن قزمان في الزجاليين بمنزلة المتنبي في الشعراء». انظر مقال : «الأندلس»، سبق ذكره، ص 204.

(16) إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي، سبق ذكره، ص 255.

E. Levi-Provençal : La civilisation Arabe en Espagne Paris 1961, p (17)

171. (18) إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي، سبق ذكره، ص 255.

(19) انظر مقال : «ابن قزمان» في دائرة المعارف الإسلامية (المعربة)، ج 3، ص ص 262-264، (س. أ. سيبولد - Seybold)

(20) إميليو غارثيا غومث : مع شعراء الأندلس والمتنبي. (ترجمة الطاهر أحمد المكي)، مكتبة وهبة، القاهرة، 1974، ص

217

(21) إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي، سبق ذكره، ص 255.

E. Levi-Provençal: La civilisation arabe en Espagne, op. cit. p. 171. (22)

(23) إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي سبق ذكره. ص 255.

4 - النشرة العلمية الرابعة : وهي نشرة إميليو غارثيا غومث :
Emilio Garcia Gomez : Todo Ben Quzman. 3 tomes. Ed. Gredos,
1972

وتضمن الديوان في هذه الطبعة 193 زجلا (1511 ص). ولئن كان عمل غومث أفضل بكثير من أعمال سابقه من المستشرقين، فإنه أتم بعيب علمي كبير إذ بنى تحقيقه للنص وترجمته إلى الإسبانية ونشره له بحروف لاتينية على فكرة استبدت به وهي أن أوزان الأزجال القزمانية تخضع للعروض الإسبانية واعتمادا على هذه الفكرة ألف عمله الضخم (3 مجلدات)، وعلى ضوئها أعاد تحقيق الديوان وشكل ألفاظه «مع أن التشابه العارض بين أوزان الزجل لا يؤيد هذه النظرية». (24).

5 - النشرة العلمية الخامسة : أنجزها المستشرق الإسباني ف. كورينطي : (F. Cor- riente) :

ف. كورينطي : ديوان ابن قزمان، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد 1980، واشتمل الديوان في هذه الطبعة 149 زجلا (1008 ص) : وهي أفضل النشرات لأسباب مختلفة نذكر من بينها تقديمه الجيد للديوان وإبرازه للقضايا الجوهرية فيه واتخاذها لموقف شخصي منها عن دراية ودون موارد، خصوصا اعتباره أن لغة الأزجال هي لهجة أندلسية لها قواعد خاصة وأن عروض الأزجال عربية الأصل، ونقحرت له للأزجال بحروف عربية وشكلها وشرح الكثير من الكلمات الغامضة فيها وإبراز الكلمات الإسبانية في الأزجال.

3 - 2 - تقييم أعمال المستشرقين الذين نشروا ديوان ابن قزمان:
كانت دوافع المستشرقين وغاياتهم من هذه النشرات متباينة. وأفضت نتائج دراساتهم إلى التناقض السافر أحيانا. ويمكن القول : إن أبرز مواضيع الاختلاف بينهم تتعلق بأصل الأزجال ولغتها وعروضها.

- أما عن أصل الأزجال فهناك عموما اتجاهان مختلفان :
اتجاه يرجع الأزجال إلى أصول عربية ويبرز دورها في التأثير في الشعر الغنائي الأوروبي في القرون الوسطى.
اتجاه يعتبر أن الأزجال الأندلسية هي تقليد لأنموذج غنائي سابق في اللغات «الرومانشية» بإسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا.

- وأما عن لغة الأزجال فهناك أيضا اختلاف بين تيارين رئيسيين : يرى أحدهما أنها لهجة من اللهجات الأندلسية (25) والآخر أنها اللغة العربية الفصحى مشوبة بلحن كثير. (26)
- وأما عن أوزان الأزجال فهناك من يرى أنها عربية الأصل مع اختلاف جوهري : وهو أنها لا تقوم على تناوب المقاطع القصيرة والطويلة، وإنما على تناوب المقاطع المنبورة وغير المنبورة. ذلك أن اللهجة الأندلسية قد استبدلت المد بالثب (27). وتجدر الإشارة إلى أن تحديد

(24) إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي سبق ذكره. ص 255.

(25) انظر مقدمة كورينطي ... سبق ذكره، ص «ب»

(26) انظر مقال : إميليو غارثيا غومث حول الأزجال (بالإسبانية) بمجلة الأندلس 1961/2 رقم XXVI ص 253 - 321.

(27) انظر مقدمة كورينطي ... سبق ذكره، ص «ب»

موقع النبرة (Accent) أساسي في اللغة الإسبانية المكتوبة والمنطوقة على حد سواء. فإذا سقطت النبرة أو غُيِّرَ موقعها التبس المعنى أحيانا على القارئ أو السامع.

ويبدو أن عروض الأرزجال وموسيقاها ولغتها من أهم العقبات في وجه الباحثين إلا أن اللهجتين العامية والرومانشية لم تنمعا الأرزجال من الانتشار في الشرق. فالأرزجال تغنى وتحفظ أحيانا دون فهم لكل ألفاظها ومعانيها بالاعتماد على التكرار والإيقاع فحسب، وما استظهار الناس اليوم في الحفلات برصيد مدهش من الأغاني الشرقية والغربية ولهجات ولغات عديدة إلا حجة على ما ذكرنا، ولا يحتاج الأمر إلى أمثلة كثيرة إذ هو شائع في حياتنا اليومية. ويرى المستشرق ريبيرا (Ribera) أن «المفتاح السري» الذي يشرح تركيبة مختلف الأنظمة الشعرية للعالم الثقافي في القرون الوسطى يكمن في أزرجال ابن قزمان (28). وقد يكون رأي ريبيرا الأنف الذكر هو السبب الرئيسي لتهاافت المستشرقين على دراسة الديوان. ويبدو أنه ليس هناك مفتاح واحد سرّي ضائع لفهم الديوان وإنما مجموعة من المفاتيح، إذ ما تزال الكثير من المعضلات قائمة في الديوان.

4 - دواعي الحاجة إلى بحث علمي عربي حول ابن قزمان وتراثه الزجلّي :

لئن أنجز المستشرقون خمس نشرات علمية لديوان ابن قزمان، وبذلوا جهودا محمودة في التحقيق وتذليل بعض الصعوبات اللغوية وترجمتها إلى الإسبانية، فقد تضمنت بعض النقااص وأنسبت ببعض العيوب. وهذا ما دفع بعضهم إلى التعبير عن ضرورة القيام بدراسة الديوان دراسة علمية عربية. وقد عبّر عن هذه الرغبة إحسان عباس في نقده للنشرة ما قبل الأخيرة لديوان ابن قزمان (نشرة غارثيا غومث 1972) فتراه يختم نقده بقوله : «وأعتقد أننا مازلنا بحاجة شديدة في الشرق العربي إلى أن نرى قراءة صحيحة لديوان ابن قزمان» (29). وقد سبق لسيبولد أن أشار إلى نفس الموضوع منذ زمن بعيد مبرزا وجوب القيام بدراسة علمية لأرزجال ابن قزمان ومؤكدا أن «الحاجة ماسة إلى نشر طبعة علمية لديوانه مع ترجمته والتعليق عليه... كذلك نحن في حاجة إلى جمع ونشر تراجم ابن قزمان التي وردت في مصنفات ابن بسّام وابن الأثير وابن الخطيب المخطوطة البعثرة هنا وهناك». (30) ولا ريب أننا نجد في مختلف النشرات دراسة لبعض المسائل التي أشار إليها سيبولد، إلا أنها تفتقر إلى التركيز والدقة. وتضاف إليها قضايا أخرى كوجوب تعريب هذا الديوان تعريبا يجمع بين المحافظة على ما هو بالعربية الفصحى في النص الأصلي وترجمة ما هو بالعامية أو بالأعجمية الأندلسية وخصوصا بالرومانشية (الإسبانية القديمة) إلى العربية، وتوضيح ما التبس فيها من ألفاظ ومعان فضلا عن دراسة الأرزجال دراسة معمقة من حيث المحتوى واللغة والأسلوب.

(28) كراتشفسكي : الشعر العربي في الأندلس، ترجمة د. محمود منير مرسى، القاهرة 1971، ص 72.

(29) إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي سبق ذكره. ص 255.

(30) انظر مقال : «ابن قزمان» في دائرة المعارف الإسلامية (المعربة)، ج 3، ص 262 - 264، (س. أ. سيبولد -

بيد أننا نشير إلى أن المقارنة بين الأجزاء في مختلف النشرات وتعريبها، ثم دراستها تتطلب توفر كل المصادر المذكورة والمعاجم المتعلقة بالعامية الأندلسية والرومانشية وقدرًا كبيرًا من الدربة، إذ أنها شعر شعبي مشحون بالألفاظ والتعابير العامية المأخوذة من اللهجة الأندلسية القرطبية فضلًا عن بعض الألفاظ البربرية (31). وهو عمل ينوء بحمله باحث واحد.

5 - مقترحات عملية لإنجاز نشرة عربية لديوان ابن قزمان :

أشرنا في مستهل المقال إلى ندرة الدراسات العربية حول الأجزاء، وذكرنا بعض الأسباب المحتملة لعزوف الدارسين عن البحث في الموضوع. وكان ديوان ابن قزمان أنموذجًا للعقبات العديدة التي تقف في وجه الباحثين والتي لا يتسنى لدارس واحد أن يذللها. ونقترح أن تشرف مؤسسة أكاديمية أو هيئة علمية مختصة مشهود لها بجديّة الباحثين فيها وكفاءتهم كبيت الحكمة أو جمعية الدراسات الأندلسية بتونس على القيام بهذا العمل الضخم الذي ينبغي أن تتضافر جهود مجموعة من الباحثين لإنجازه. ولا أقلّ - في رأينا - من خمسة مجالات في الديوان تتطلب الدراسة والتحصيص :

1 - المجال الألسني (العربية والإسبانية) : لاحتواء الديوان على عدّة سجلات لغوية : العامية الأندلسية والعربية الفصحى والرومنشية (الإسبانية القديمة).

2 - مجال الأدب المقارن : لتبيين مدى التأثير والتأثير بين الأجزاء الأندلسية والشعر الغنائي الأوروبي، خصوصًا عند التروبادور من حيث الشكل والمضمون وإبراز التداخل بين العروض الإسبانية والعربية في الديوان، ولهذا السبب نعتبر أن دراسة ديوان ابن قزمان هي من صميم الأدب المقارن إذ لا تكاد تخلو دراسة واحدة من دراسات المستشرقين « من ذكر أوجه المقارنة بين الأجزاء الأندلسية وما يقابلها في آداب إسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا باللغة الرومانشية. » (32).

3 - مجال الموسيقى والأغاني الشعبية : لأنّ الأجزاء « قد نظمت ليتغنّى بها الشعراء الجوّالون في الأسواق بصوت جهير وسط جمهور يتجمّع أفراداه حول المنشد، فيردّد « المركز » (33) جماعة عقب كلّ فقرة يُلثيها. وتصحّب كلّ ذلك آلات الموسيقى كالعود والنّاي والطنبور والدّف ... وربما تخللها الرقص » (34).

وإن تسمية ديوان ابن قزمان بالإسبانية وفي مختلف النشرات بـ « Cancionero » (ديوان = أغان) هي في رأينا أدقّ تعبيرًا وأكثر إفصاحًا عن محتوى الأجزاء من مجرد كلمة ديوان. وقد أشار ابن قزمان نفسه في مواطن عديدة من الديوان إلى أنّه ينظم أجزاله لتغنّى :

قد تمّت الزّجّل وهو من قلبي مقطوع
وجاء من سحر بابل ومن الدّر مجموع
تسمع الناس يقولوا أنّ ذا، ياخ مطبوع
وتقول ال (و) قت يغنيه

(31) انظر مقال : « ابن قزمان » في دائرة المعارف الإسلامية (بالفرنسية)، الطبعة الجديدة، ج 3، ص 874 - 876.

(32) انظر مقدّمة كورنيلي لديوان ابن قزمان، في النشرة التي أعدها له ص « ب ».

(33) « المركز » : هو أوّل جزء من الزّجل ويتكرّر عادة من بيتين.

(الزجل رقم 10، النشرة 5، البيت 10، ص 18)

4 - مجال التعريب : تعريب الديوان من الإسبانية (بين 149 و 194 زجلا حسب النشرات).

5 - باحث يتقن اللسانيين، يتولى التنسيق بين الباحثين السالف ذكرهم ويتوج نتائج أعمالهم ببحث علمي يتناول حياة ابن قزمان من خلال ديوانه - بعد تعريبه وضبط شكله وأوزانه - ودراسة مضامين أزجاله وخصائصها الفنية دراسة تحليلية مقارنة، بالاعتماد على مختلف نشرات المستشرقين لديوانه وذلك من حيث اللغة والعروض والموسيقى، وتذييله بمعجم للألفاظ العامية الأندلسية والرومانشية وضبط فهارسه.

ونأمل أن تؤخذ هذه المقترحات أو بعضها بعين الاعتبار، إذ من المؤسف حقاً أن نرى تهافت المستشرقين على نشر ديوان ابن قزمان (خمس نشرات) وخلو المكتبة العربية من «أنفس ديوان زجلي على الإطلاق». (35) وانعدام دراسة علمية حول شاعر أجمع النقاد القدامى والمحدثون، العرب منهم والأجانب على نبوغه في فن الزجل واعتبار بعضهم لديوانه «جسرا بين الشرق والغرب». (36).

ولا شك أن بحثاً علمياً حول ابن قزمان وتراثه الزجلي بالطريقة التي اقترحناها وبإشراف هيئة علمية رسمية وعكوف لجنة من المختصين على إنجازها، لكفيل بنشر أول نسخة عربية للديوان ودراسته والتعريف بصاحبه، وتوضيح بعض المسائل اللغوية والعروضية والموسيقية والأدبية التي من شأنها إذا ما درست أن تخرج هذا الأثر النفيس إلى النور، وأن تكشف عن نوع العلاقة بين آداب المسلمين والنصارى في الأندلس.

(34) الطاهر أحمد المكي: دراسات أندلسية، دار المعارف، القاهرة 1980، ص 213.

(35) إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي، (عصر الطوائف والمراطين) بيروت - ط ٦ - 1981، ص 255.

(36) انظر مقدمة كورنيطي، سبق ذكره، ص «أ».